

حقائق التأويل

[53] يسئ له ، كمغن ثقیل بارد الغناء . ولكنا إذا تحققنا أن الشريف لم يشرب ، ولم يسمع ، ولم يجالس أرباب اللهو والمهازل ، ولم يتخذ الندمان ، ولم يستعمل الملاهي ، فانا نعذره في الاوصاف ، سيما ما يكون منها مقترحاً عليه ، لانها تقع في زمنها لاسباب مجهولة لا يصح الحكم عليها بشئ ، والوصف بمجردة لا يقدر بصاحبه ، وإن أظهره بمظهر الحاضر المشاهد كما نجده يقول: ولرب يوم هاج من طربي * ولقد يضيق بغيره ذرعي من منظر حسن ومن نغم * ندعوه قيد العين والسمع أما التهنئة بالشعانيين فهي اسم لا مسمى له ، ولا شأن فيه لمن لاحظته . وأما رثاء الصابي ومدحه ، فما كنا لنحجرهما على الشريف إذا تجنب فيهما القول بالباطل ، وما كنا لنكم فم الشريف أن يعترف لذي فضل بفضله ، ولا نرى له ان يغمط حق ذي الحق ، ومن عرف صلات الشريف به لا يكون عاذراً له فقط ، بل حامداً له في الوفاء والاعتراف بالحق . وفاؤه أخص الوفاء لانه أنبل صفات الانسان ، لا سيما إذا كان الموقف فيه حرجاً ، كموقف السموءل ، وغير بدع أن ينطبع الشريف لذاته على مقدار من الوفاء ، فانه من شئون المروءة والفتوة بالمعنى المفهوم منها ، والفتوة هي: جماع صفات النبل والفضل . ولست في هذا الفصل بالذي ارید أن أعد الوقائع ، أو أسرد الشواهد من شعر الشريف على
